

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لقد أَمَرَ اللهُ في كتابه عباده المؤمنين بالإكثار من ذكره قياماً وقعوداً وعلى الجَنُوب، بالليل والنَّهار، وفي البرِّ والبحر، وفي السَّفر والحضر، وفي الغنى والفقر، وفي الصَّحة والسقم، وفي السَّرِّ والعَلَن، وفي كلِّ حال، ورتَّبَ لهم على ذلك جزيل الأجر، وعظيم الثَّواب، وجميل المآب.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَبِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوا بِحَمْدِ رَبِّكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴿٤٢﴾ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَيْسَ لَهُ شَافِعٌ وَلَا كَافٍ عَنِ الْعِلْمِ ﴿٤٣﴾﴾

ففي هذه الآية الحثُّ على الإكثار من ذكر الله تعالى، وبيانُ ما يترتَّبُ على ذلك من أجر عظيم وخير عظيم

وقوله: ﴿مَوْلَايَ يُصَلِّ عَلَيْكُمْ وَلِيَكُنْكُمْ﴾ فيه أعظم الترغيب في الإكثار من ذكر الله، وأحسن حظ على ذلك، أي: أنه سبحانه يذكركم فاذكروه أنتم، وهو نظير قوله تعالى: ﴿كَأَنَّا سَأَلْنَا مِنْكُمْ رُسُلًا فَنسَخْكُمْ بِثَلَاثِ آيَاتٍ وَزَكَّيْكُمْ وَبَعَلْنَاكُمْ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَبَعَلْنَاكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿١٣١﴾ فَأَذْكُرُوا أَنِ كَرُمْتَ وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونَ﴾ ﴿١٣٢﴾ [البقرة] فالجزء من جنس العمل، فمن ذكر الله في نفسه ذكره الله في نفسه، ومن ذكر الله في ملا خير منهم، ومن نسي الله نسيه الله. فالمتكثرون من ذكر الله لهم الحظ الأوفر، والنصيب الأكمل من ذكر الله لهم، وصلاته عليهم وملائكته. روي عن ابن عباس رضي الله عنه في معنى الآية أنه قال: فإذا فعلتم ذلك أي أكثرتم من ذكر الله صلى الله عليه وسلم عليكم هو وملائكته ^(١). وصلاة الله على عباده الذاكرين له، هي ثناؤه عليهم في الملائ الأعلى عند الملائكة الكرام البررة، وصلاة الملائكة عليهم هي بمعنى الدعاء لهم والاستغفار، كما قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَهَنَّمَ رَبَّنَا أَفْلَحَ جَنَّتْ عَذَابُ اللَّهِ وَعَدْنَاهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿٨﴾ وَفِهِمُ السَّخَابَ وَمَنْ تَقِ السَّخَابَ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ﴿٩﴾ [البقرة].

وقد حكى البخاري في صحيحه عن أبي العالبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ فِي مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (٥٨) **[الْحَبَشَةُ]** «صلاة الله: شأؤه عليه عند الملائكة، وصلاة الملائكة: الدعاء» (٢).

ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِسَبَبِ رَحْمَتِهِ الذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا، وَثَنَائِهِ عَلَيْهِمْ، وَدَعَاءِ مَلَائِكَتِهِ لَهُمْ، يَخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ **[الْحَبَشَةُ: ٤٣]** مِنْ ظُلُمَاتِ الْجَهْلِ وَالضَّلَالِ إِلَى نُورِ الْهُدَى وَالْيَقِينِ، ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَانَ الْمُؤْمِنِينَ رِجْمًا﴾ **[الْحَبَشَةُ: ٥١]** فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، أَمَّا فِي الدُّنْيَا فَإِنَّهُ هَدَاهُمْ إِلَى الْحَقِّ الَّذِي جِهَلَهُ غَيْرُهُمْ، وَبَصَّرَهُم الطَّرِيقَ الَّذِي ضَلَّ عَنْهُ وَحَدَّ عَنْهُ مِنْ سَوَاهِمِ الدُّعَاةِ إِلَى الْكُفْرِ أَوِ الْبِدْعَةِ أَوِ الْبَاطِلِ، وَأَمَّا رَحْمَتُهُ بِهِمْ فِي الْآخِرَةِ فَأَمَّنَهُمْ مِنَ الْفَزَعِ

(1): تفسير ابن جرير (124/19).
(2): صحيح البخاري كتاب التفسير (326/6).

الأكبر، وأمر ملائكته يتلّونهم بالبشارة بالفوز بالجنة والنجاة من النار، وما ذاك إلاّ لمحبتهم لهم ورافته بهم، جعلنا الله منهم.

ويقول الله تعالى في آية أخرى مبيناً فضل الذّاكرين الله كثيراً والذّكّرات، منوهاً بشأنهم، معلياً لذكرهم، مبيناً لعظيم أجرهم وثوابهم، ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّامِتِينَ وَالصَّامِتَاتِ وَالْمَلْفُوفِينَ وَالْمَلْفُوفَاتِ وَالْغَافِلِينَ وَالْغَافِلَاتِ﴾ [الزُّمَر: ١٥].

أي: هيأ لذنوبهم الصّفح والغفران، ولأعمالهم الصّالحة الأجر العظيم والدرجات العالية في الجنان، ممّا لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب إنسان.

إِنَّ الذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتُ هُمْ الْمُرْدُونَ السَّابِقُونَ إِلَى الْخَيْرَاتِ،
المَحْظُوظُونَ بِأَرْفَعِ الدَّرَجَاتِ وَأَعْلَى الْمَقَامَاتِ، رَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَبِي
هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَسِيرُ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ فَمَرَّ عَلَى جَبَلٍ يُقَالُ
لَهُ جُمْدَانٌ فَقَالَ: سَيَرُوا هَذَا جُمْدَانٍ، سَبَقَ الْمُرْدُونَ. قَالُوا: وَمَا الْمُرْدُونَ؟
قَالَ: الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتُ» ⁽³⁾.

وقد فسّر رسولُ الله ﷺ المفردين بأنهم الذّاكرون الله كثيرًا والذّاكرات، وأصلُ المفردين كما يقول ابن قتيبة وغيره: الذّين هلك أقرانهم وانفردوا عنهم فبقوا يذكرون الله تعالى⁽⁴⁾.

أَنْ مِنْ يَتَأَمَّلُ هَذِهِ النُّصُوصَ وَغَيْرَهَا مِنَ النُّصُوصِ الْكَثِيرَةِ الْوَارِدَةِ فِي بَيَانِ عَظِيمِ أَجْرِ الذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ، وَجَزِيلِ ثَوَابِهِمْ، وَمَا أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مِنَ النِّعَمِ الْمُقِيمِ، وَالثَّوَابِ الْكَبِيرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَتَتَحَرَّكَ نَفْسُهُ شَوْقًا وَطَمَعًا، وَيَهْتَرُّ قَلْبُهُ حُبًّا وَرَغْبًا فِي أَنْ يَكُونَ مِنْ هَؤُلَاءِ أَهْلِ هَذَا الْمَقَامِ الرَّفِيعِ وَالْمَنْزِلَةِ الْعَالِيَةِ.

ولكن بهم ينال العبدُ ذلك؟ وهذا سؤالٌ عظيمٌ يجدر بكلِّ مسلم أن يقف عنده ويعرف جوابه، وقد جاء عن السلف في معنى الذَّاكِرِينَ الله كثيراً والذَّاكِرَاتِ نقولُ عديدةٌ منها:

ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: المراد: يذكرون الله في أدبار الصلوات وغدواً وعشيّاً، وفي المضاجع، وكلما استيقظ من نومه، وكلما غدا أو راح من منزله ذكر الله تعالى.

وقال مجاهد: «لا يكون من الدّٰكرين الله كثيرا والدّٰكرات حتّى يذكر الله قائما وقاعدا ومضطجعا».

وقال عطاء: «من صَلَّى الصَّلَاةَ الْخَمْسَ بِحَقِّهَا فَهُوَ دَاخِلٌ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾» (5).

ومن صفة هؤلاء: الصَّلَاةُ مِنَ اللَّيْلِ، فَقَدْ رَوَى أَبُو دَاوُدَ وَابْنُ مَاجَهَ،

(3): صحيح مسلم (رقم: 2676).
(4): انظر شرح مسلم للنووي (4: 17).
(5): انظر: هذه الاثار في «الاذكار» للنووي (ص: 10: 9).

والحاكم، وغيرهم، بإسناد صحيح، صحَّحه الحاكم والذهبي والنووي والعراقي وغيرهم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أيقظ الرجل أهله من الليل فصلياً أو صلى ركعتين جميعاً كتباً من الذَّاكِرِينَ الله كثيراً والذَّاكِرَاتِ» ⁽⁶⁾.

وقد سُئِلَ أبو عمرو بن الصَّلَاح فيما نقله النووي رحمَهُ اللهُ عنه في كتاب الأَذْكَارِ عن القَدْرِ الذي يصير به العبد من الذَّاكِرِينَ اللهُ كَثِيرًا والذَّاكِرَاتِ فقال: «إذا واطب على الأَذْكَارِ المَأْثُورَةُ المُبْتَدِئَةُ صَبَاحًا ومَسَاءً في الأَوْقَاتِ والأَحْوَالِ المُخْتَلِفَةِ لَيْلًا ونَهَارًا، وهي مُبَيَّنَةٌ في كتاب عمل اليوم والليلة، كان من الذَّاكِرِينَ اللهُ كَثِيرًا والذَّاكِرَاتِ» ⁽⁷⁾.

ويقول الشيخ العلامة عبد الرحمن بن سعدي رحمه الله: «أقل ذلك أن يلازم الإنسان أورد الصُّباح والمساء وأدبار الصَّلوات الخمس وعند العوارض والأسباب، وينبغي مداومة ذلك في جميع الأوقات على جميع الأحوال، فإن ذلك عبادة يسبق بها العامل وهو مستريح، وداع إلى محبة الله ومعرفته، وعون على الخير وكف اللسان عن الكلام القبيح»⁽⁸⁾. اه كلامه رحمه الله.

وَأَسْأَلُ اللَّهَ سُبْحَانَهُ بِأَسْمَائِهِ الْحَسَنَى أَنْ يَجْعَلَنَا مِنَ الذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا
وَالذَّاكِرَاتِ، وَمِنَ الَّذِينَ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا، إِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ
قَدِيرٌ وَبِالْإِجَابَةِ جَدِيرٌ.

ذم الغفلة عن ذكر الله

إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَمَّا أَمَرَ بِذِكْرِهِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَحُتَّ عَلَيْهِ وَرَغَبَ فِيهِ فِي أَيِّ كَثِيرَةٍ مِنْهُ، حَذَرَ أَيْضًا مِنَ الْوُقُوعِ فِي ضَدِّهِ وَهُوَ الْغَفْلَةُ، إِذْ لَا يَتِمُّ الذِّكْرُ لِلَّهِ حَقِيقَةً إِلَّا بِالتَّخَلُّصِ مِنَ الْغَفْلَةِ وَالبَعْدِ عَنْهَا، وَقَدْ جَمَعَ اللَّهُ بَيْنَ هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ فِي آيَةٍ وَاحِدَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ أَعْنِي: الْأَمْرَ بِالذِّكْرِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْغَفْلَةِ وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْأَعْرَافِ: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ نَضْرَاجًا وَخِفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠٥].

والمراد بقوله في الآية: ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ﴾ أي: من الذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم، فإنهم حرموا خيري الدنيا والآخرة، وأعرضوا عن مَنْ كُلِّ السَّعَادَةِ وَالْفَوْزِ فِي ذِكْرِهِ وَعِبَادَتِهِ، وأقبلوا على مَنْ كُلِّ الشَّقَاوَةِ وَالْخَبَةِ فِي الْإِشْتَغَالِ بِهِ، وفي الآية أمرٌ بالذكر والمواظبة عليه وتحذيرٌ من الغفلة عنه، وتحذيرٌ من سبيل الغافلين.

والغفلة داءٌ خطير إذا اعترى الإنسان وتمكّن منه لم يشغل بطاقة الله وذكره وعبادته، بل يشغل بالأمور الملهية المبعدة عن ذكر الله، وإن عمل أعمالاً من الطاعة والعبادة فإنها تأتي منه على حال سيئة ووضع غير حسن، فتكون أعماله عاريةً من الخشوع والخضوع والإنابة والطمأنينة والخشية والصدق والإخلاص.

(6): سنن أبي داود (رقم: 1309)، سنن ابن ماجه (رقم: 1335)، ومستدرك الحاكم (316/1)، وصحح العلامة الألباني في صحيح الجامع (رقم: 6030).

(7): نقله النووي في الأذكار (ص: 10).

(8): تفسير الكريم الرحمن (6/ 112).

فضد الإكثار

مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ

و ذم الغفلة عنه

إِعْدَادُ

عَبْدُ الرَّزَاقِ بْنِ عَبْدِ الْمُحْسِنِ الْبُذْزِي



تِلْكَ الْمَجْمُوعَةُ

شارك في الدعوة إلى الله بشهر هذه المطوية لتكون لك حسنة جارية

تَقْرَأُ فِيهِ» (13).

وفي سنن أبي داود وغيره بإسناد حسن من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تجعلوا بيوتكم قبوراً، ولا تجعلوا قبوري عيداً، وصلوا عليَّ فَإِنْ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُ» (14). قال شيخ الإسلام أبو العباس ابن تيمية رحمته الله في بيان معنى قوله: «لا تجعلوا بيوتكم قبوراً»، قال: «أي لا تعطلوها عن الصلاة فيها والدعاء والقراءة فتكون بمنزلة القبور، فأمر بتحري العبادة في البيوت، ونهى عن تحريها عند القبور عكس ما يفعله المشركون من النصارى ومن تشبه بهم» (15). اهـ كلامه رحمته الله.

ولما كان القلب بهذه المثابة يوصف بالحياة وضدها انقسمت القلوب بحسب ذلك إلى ثلاثة أقسام (16):

الأول: القلب السليم، وهو الذي سلم من أن يكون لغير الله فيه شرك بوجه ما، بل قد خلصت عبوديته لله تعالى إرادةً ومحبةً وتوكلًا وإنابةً وإخبارًا وخشيةً ورجاءً، وخلص عمله لله، فإن أحبَّ أحبَّ في الله، وإن أبغض أبغض في الله، وإن أعطى أعطى لله، وإن منع منع لله، ويكون الحاكم عليه في أموره كلها هو ما جاء به رسول الله ﷺ فلا يتقدم بين يديه بعقيدة ولا قول ولا عمل.

الثاني: ضد هذا وهو القلب الميت، الذي لا حياة به فهو لا يعرف ربه ولا يعبد ولا يمتثل أمره ولا يفعل ما يحبه ويرضاه، بل هو واقف مع شهواته ولذاته، ولو كان فيها سخط ربه وغضبه، فهو متعبد لغير الله حبًا وخوفًا ورجاءً ورضًا وسخطًا وتعظيمًا ودلاً، إن أحبَّ أحبَّ لهواه، وإن أبغض أبغض لهواه، وإن أعطى أعطى لهواه، وإن منع منع لهواه، فهو أثرٌ عنده وأحبُّ إليه من رضا مولاه، فالهوى إمامه، والشهوة قائده، والجهل سائقه، والغفلة مركبه.

الثالث: قلب له حياة وبه علة، فله مادتان: تُمدُّ هذه مرةً، وهذه أخرى، وهو لما غلب عليه منهما، ففيه من محبة الله تعالى والإيمان به والإخلاص له والتوكل عليه: ما هو مادة حياته، وفيه من محبة الشهوات وإيثارها والحرص على تحصيلها، ومن الحسد والكبر والعجب وحب العلو ما هو مادة هلاكه وعطبه.

فالقلب الأول حيٌّ مخبئ لئبٍ، والثاني يابسٌ ميّت، والثالث مريضٌ فإما إلى السلامة أدنى وإما إلى العطب أدنى، وعلى هذا فإن القلب لكي تبقى له حياته وتزول عنه غفلته وتتم له استقامته محتاجٌ إلى ما يحفظ عليه قوته وهو الإيمان وأوراد الطاعات والمحافظة على ذكر الله، والبعد عن كل ما يسخطه تبارك وتعالى، ولا سعادة للقلب ولا لذة ولا نعيم ولا صلاح إلا بأن يكون الله وحده إلهه وفطره ومعبوده وغاية مطلوبه، وأحبَّ إليه من كل ما سواه، فبهذا تكون نجاة القلب من الغفلة وسلامته من الهلكة، وبهذا تسري فيه الحياة، والتوفيق بيد الله وحده.

(13): صحيح مسلم (رقم: 780).

(14): رواه أحمد في المسند (367/2) سنن أبي داود (رقم: 2042). وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم: 7226).

(15): اقتضاء الصراط المستقيم (662/2).

(16): انظر: إغاثة اللهاملين لابن القيم (13/1). (15).

ولهذا جاء في القرآن الكريم في مواطن كثيرة منه التحذير منها وذمها وبيان سوء عاقبتها، وأنها من خصال الكافرين وصفات المنافقين المعرضين. يقول الله تعالى: «وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْإِنسِ ثُمَّ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَفْئَادٌ لَا يَشْعُرُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ» (١٣) [الأنعام: ١٠١] ويقول تعالى: «إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَآكْفِرٌ لَّقَدْ آتَيْنَا الْإِنسَانَ الْفُطْرَةَ الْفَاسِقَةَ وَالْإِنسَانُ ظَالِمٌ خَلْقًا» (١٤) [الأنعام: ٢٨] ويقول تعالى: «يَعْلَمُونَ ظُهُورَ النَّاسِ مِنْ أَدْبَارِهِمْ وَمِنْ أَدْبَارِهِمْ مِنْ أَدْبَارِهِمْ» (١٥) [الأنعام: ١٠٢] ويقول تعالى: «يَعْلَمُونَ ظُهُورَ النَّاسِ مِنْ أَدْبَارِهِمْ وَمِنْ أَدْبَارِهِمْ مِنْ أَدْبَارِهِمْ» (١٦) [الأنعام: ١٠٢].

إن مثل الغافل عن ذكر الله مثل الميت، وقد تقدم معنا أن الذكر هو حياة القلوب حقيقة، فلا حياة لها بدونه، وحاجتها إليه أعظم من حاجة السمك إلى الماء، فالقلب النّاذر هو القلب الحي، والقلب الغافل هو القلب الميت. وفي الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكره مثل الحي والميت». ولفظ مسلم: «مثل البيت الذي يذكر الله فيه والبيت الذي لا يذكر الله فيه مثل الحي والميت» (٩). ففي هذا التمثيل كما يقول الشوكاني رحمته الله: «منقبة للذاكر جليلة، وفضيلة له نبيلة، وأنه بما يقع منه من ذكر الله ﷻ في حياة ذاتية وروحانية لما يغشاها من الأنوار، ولما يصل إليه من الأجور، كما أن التارك للذكر وإن كان في حياة ذاتية فليس لها اعتبار بل هو شبيه بالأموات» (١٠).

لقد جعل النبي الكريم ﷺ في هذا الحديث بيت الذاكر بمنزلة بيت الحي، وبيت الغافل بمنزلة بيت الميت وهو القبر، وفي اللفظ الأول جعل الذاكر نفسه بمنزلة الحي، والغافل بمنزلة الميت، فتضمن الحديث بمجموع لفظيه أن القلب الذاكر كالحَيِّ في بيوت الأحياء، والقلب الغافل كالميت في بيوت الأموات، وعلى هذا فإن أبدان الغافلين قبورٌ لقلوبهم، وقلوبهم فيها كالأموات في القبور، ولهذا قيل:

فنسيان ذكر الله موت قلوبهم وأجسامهم قبل القبور قبورٌ

وأرواحهم في وحشة من جسومهم وليس لهم حتى النشور نشورٌ

وقيل:

فنسيان ذكر الله موت قلوبهم وأجسامهم فهي القبور الدوارسُ

وأرواحهم في وحشة من حبيبهم ولكنها عند الخبيث أو انس (11)

ولهذا صحَّ في الحديث عن النبي ﷺ النهي عن جعل البيوت قبوراً، أي: لا يصلى فيها ولا يذكر فيها الله تعالى. ففي الصحيحين من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم ولا تتخذوها قبوراً» (12).

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا تجعلوا بيوتكم مقابر، فإن الشيطان يفر من البيت الذي يسمع سورة البقرة

(9): صحيح البخاري (رقم: 6407). وصحيح مسلم (رقم: 779).

(10): تحفة الذاكرين (ص: 15).

(11): انظر: مدارج السالكين لابن القيم (430، 429/2).

(12): صحيح البخاري (رقم: 432). وصحيح مسلم (رقم: 777).